وأجل المدركات العلم بالله تعالي،.....، ويهدهم الله لمعرفته ومعرفة ملائكته علم ماكان ويكون من الحوادث الجزئية الحادثة فى هذا العالم يرونها ببصائر قلوبهم من غير أن يشاهدوها ويعاينوها.

٢- **ودون الأنبياء أولياء الله:** الذين فطرهم علي فطر فائقة يأخذون بها من الأنبياء ما يوصلهم إلى العلم بالله وبملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، والسعادة القصوى، ولا يزالون يصدقون بذلك حتى يروا علم ذلك في نفوسهم ببصائرهم بحسب درجات الموهبة من الله تعالى التى يبصرون بها نفوسهم على ذلك مدون الدنيا، ويأنسون ويلذون للفكرة بذكر الله ببصائرهم الفائقة، نطقت بذلك أنفسهم أولم تنطق، فإنه لا يخلو علم ذلك من نفوسهم. وهؤلاء المخلصون يفيض عليهم من الله عز وجل بحسب الرؤيا بجزء يسير مما وهبه الله للأنبياء من الاطلاع على المغيبات التى تكون من الله تعالى في العلم على درجات. وأولياء الله منهم: صحابة النبى- صلي الله عليه وسلم- وكل من أخلص لله وصدق فلابد له من السعادة الأخروية.

٣- **وبعد أولياء الله طائفة قليلة**، وهبهم الله بصائر يتحققون بها على تدريج ماهو كل موجود يقينا، إلى أن يبلغوا من العلم اليقين بمخلوقات الله عز وجل ما يبلغهم إلي العلم بالله وبملائكته وكتبه ورسله، والدار الآخرة، ويراوا يقينا ببصائرهم أنهم تبرأوا بذلك عن البدن، وحصل لهم الكمال الذى هو السعادة القصوى التى هى بقاء بلافناء، وعز بلا زل.....، وبالجملة أن يدرك الإنسان أجل مطلوباته وأكملها، وهو العلم بالله عز وجل، حتى يكون كل ما دون الذي أدركه حقيرا عنده لا يرضاه ولا يحاكيه، بل يحب ما هو فيه ويلتذ به أكمل لذة، ويتعشقه، وهؤلاء.....هم قليل جدا»[1].

١- رسائل فلسفية لأبى بكر بن باجة، جمال الدين العلوى، ص١٧٥-١٧٧.

"والله عز وجل يفيض من علمه على موجوداته ومخلوقاته العلم والعمل،فيقبل كل موجود بحسب مرتبته من كمال الوجود، والعقول تقبل منه العلم بحسب مراتبها، والأجرام تقبل منه الأشكال والصور النفسانية بحسب مراتبها،ومراتبها بحسب أمكنتها»[1].

وبذلك فإن ابن باجة قد تحدث عن طرق المعرفة والسبل الموصلة إليها. إلا أنه «يهتم بالمعرفة العقلية دون المعرفة العرفانية أو الإشراقية»[2]

"ولاريب أن هذا الرأي هو على الطرف المناقض لرأي الغزالي الذى يرى: أن العقل ضعيف، وغير موثوق به، وأن جميع العلوم والثقافات البشرية عبث، لأنها لا توصل إلي أية حقيقة من الحقائق، وأن الوسيلة المثلى لتحقيق المعرفة الصحيحة هي التنسك»[3]

ولكن هذا القول لا يجب التسليم به.إذا لو كانت جميع العلوم والثقافات البشرية عبث بحجة أنها لا توصل إلي حقيقة من الحقائق: لما كان هناك حاجة إلى الاجتهاد في طلب العلم، وبالتالي فإن اجتهادات العلماء من الفقهاء وغيرهم بناء على هذا الرأي عبث كذلك.

كما أن هذا القول مخالف لما جاء به الإسلام: حيث دعا إلي إعمال الحس والعقل معا في النفس والكون للوصول إلى الخالق تبارك وتعالى، ومناقض أيضا للتراث العلمى الضخم الذى تركه الغزالى، حيث دعا إلى استعمال العقل وبين قيمته، بل وأفرد له موضوعات فى كتبه.

فالعقل وإن كانت نتائجه نسبيه إلا أنه يصل إلى بعض الحقائق، كما أن الوصول إلى حقيقة ما لا يتم إلا به، وبذلك فليست جميع العلوم والثقافات البشرية

١- السابقة نفسه . ص ١٧٩.

٢- تاريخ الفلسفة الاسلامية فى المغرب، د/ محمد الفيومى،ص ٣٧٧ بتصرف.

٣- الفلسفة الأسلامية فى المغرب،د/ محمد غلاب، ص ٣٧.

عبث بحجة أن العقل مصدرها ،وليس العقل فى جميع الأحوال ضعيف وغير موثوق به.

علاقة المعرفة بالسعادة:

يرى ابن باجة أن المعرفة التامة هي السبيل الموصل إلى السعادة، وأنه بالعلم وحده يصل المرء إلي فهم نفسه، وفهم العقل الفعال والاتصال به كيما يبلغ السعادة.

ويلاحظ أن النزعة الخلقية عند ابن باجة تعتمد على العقل، وأن فكرة الاتصال بالعقل الفعال لا تتم إلا عن طريق المعرفة والبحث العقلى والنظر الفلسفى، فالفلسفة وحدها هى التى توصل الإنسان إلي السعادة العظمى.[1]

ولكن: إذا كان ابن باجة جعل سعادة الإنسان وخيره الأقصى فى أن يتصل بالعقل الفعال.

فكيف يمكن للإنسان ان يصل إلي هذا الاتصال المسعد ؟

يجيب ابن باجة بأنه يوجد طرق يمكن للإنسان خلالها أن يصل إلى هذا الاتصال المسعد. هذه الطرق يرتقي فيها الإنسان مبتدئا فيها من المعقول فى ارتباطه بالصورة الهيولانية، ثم الانتقال إلي المعقول فى صورته المجردة، حتي يصل إلى مرتبة الاتصال بالعقل الفعال..

فلكى يحصل الانسان على المعقولات ويتصل بالعقل الفعال كى تتم له السعادة: لابد من طرق ثلاث يتدرج فيها الإنسان من المحسوس إلى المعقول حتى يصل إلى رتبه العقل الفعال.

وقد قسم ابن باجة الناس بحسب هذه الطرق إلى مراتب ثلاث وهي:-

١- المرتبة الجمهورية.

٢- المرتبة النظرية.

١- ينظر : الفلسفة الأخلاقية الأفلاطونية عند مفكرى الإسلام ،د/ ناجى التكرى ،دار الشئون الثقافية العامة، بغداد،ط الثالثة ١٩٨٨م، ص ٣٥٢.

٣- مرتبة السعداء والواصلين.

فلكل طريق من الطرق الثلاث مرتبة نصف الناس بحسبها.

١- الطريق الأول ومرتبته من الناس:-

طريق الجمهور: وهو يبدأ من المحسوس الجزئي أعني أشخاص الأشياء، ويختص بهذا الطريق من مراتب الناس: المرتبة الجمهورية.

يقول ابن باجة: «هناك منازل ثلاث: أولها المرتبة الجمهورية، وهي المرتبة الطبيعية، وهذه إنما يظهر لهم المعقول مرتبطا بالصور الهيولانية ولا يعلمونه إلا بها، وعنها ومنها ولها، وتدخل في هذه جميع الصنائع العملية»[1]

وهذا يعني أن المعقول في هذه المرتبة يظل مرتبطا بصورة الهيولانيه التي هو معقول لها. ذلك لأن جمهور الناس لا يمكنهم أن يعرفوا هذا المعقول وأن يفهموه إلا إذا أدركوا الصور الهيولانية التي هي أصل له، وهذا يعني أن المعقولات التي يدركونها إنما يدركونها بالإضافة إلى موضوعاتها.

وهذا النوع من المعرفة كما يرى ابن باجة في المرتبة الدنيا بالإضافة إلى النوعين التاليين له. ذلك لأنه يخضع للأهواء المتقبلة.

ولكن: لماذا وضع ابن باجة هذا النوع من المعرفة في المرتبة الدنيا ؟وهل جمهور الناس في هذه المرتبة على حد سواء ؟

يجيب ابن باجة عن هذا فيقول:« وكذلك من يعلم العلم الطباعي فحالة في المعقولات حال الجمهور، إذ اتصالهم بالمعقولات بوجه واحد،وعلى سنن واحدة، وإنما يتفاضلون على قدر تفاضل التصور، حتى إذا علم صاحب العلم الطباعي النفس، إتصل أيضا بالمعقولات التي يستفيدها من علم النفس بأشياء تقوم مقام الأشخاص،

١- رسالة الاتصال، ابن باجة، ص ١١٢.

كحالهم عند تصور القوة الخيالية والحس المشترك، فإنهم عند ذلك يحضرون صورة روحانية لشخص ما، ثم ينظرون فيها من جهة ماهي موجودة ذلك الوجود، لا من جهة أنها مدركة من شيء ما هيولاني،فإذا أدركوا مفعولها، لم يدركوه إلا بتلك الصور، وهي فاسدة، فلو أمكن أن يكون لهذه نسيان، لذهب معقولها بذهابها عن المتصور، أي لا يتصل الهيولاني بالمعقول إلا بتوسط الصور الروحانية. وهذه أيضا هي الطريقة الأولى التي هي بالطبع، ومشتركة بينهم وبين الجمهور»[1]

٢- الطريق الثاني ومرتبته من الناس:

وهو طريق النظار، ويقابل هذا الطريق من مراتب الناس: المرتبة النظرية أو المعرفة النظرية، وهي في نظر ابن باجة مرتبة طبيعية أيضا، ولكنها تصل إلى الذروة منها، ذلك لأن النظار يشاركون الجمهور في هذه المرتبة- الطبيعية- إلا أن نظرة كل منهما إلي الأجسام المحسوسة مختلفة، فالجمهور ينظرون إليها من حيث هي موجودات. أما النظار فإنهم يطلبون المعقولات وراءها، وهذا يعني أن الجمهورينظرون إلى الأجسام المحسوسة أو الموضوعات أولا وإلي المعقول ثانيا، في حين أن النظار ينظرون إلى الموضوعات أو الأجسام المحسوسة لأجل المعقول أولا، وإلى الموضوعات أو الأجسام المحسوسة ثالثا، ولأجل المعقول تشبيها.

وفي هذا يقول ابن باجة:«أن الجمهور ينظرون إلى الموضوعات أولا، وإلى المعقول ثانيا، ولأجل الموضوعات، والنظار الطبيعيون- بناء على أنهم يشتركون مع الجمهورفي مرتبة واحدة وهي الطبيعية- ينظرون إلى المعقول أولا، وإلى الموضوعات ثانيا، ولأجل المعقول تشبيها فلذلك ينظرون إلى المعقول أولا ، ويكن مع المعقول الصور الهيولانية»[2]

١- رسالة الاتصال، ابن باجة، ص ١١٠ـ ١١١.

٢- رسالة الاتصال، ابن باجة، ص ١١٣.

ويوضح ابن باجة الفرق بين مرتبة الجمهور والنظار بتقديم هذه الصورة الحسية فيقول:«فهذه الرتبة النظرية يري صاحبها المعقول، ولكن بواسطة، كما تظهر الشمس في الماء، فإن المرئى فى الماء هو خيالها، لاهى بنفسها، والجمهور يرون خيال خياله، مثل أن تلقى الشمس خيالها علي ماء، وينعكس ذلك إلي مرآة ، ويرى من المرآة الذى ليس له شخص»[١].

وهذه المرتبة- المرتبة النظرية- كما يري ابن باجة: هي مرتبة العلم بالمعني الصحيح للكلمة، وهي تحقق لذة عقلية تكون أفضل وأدوم من اللذة الحسية. إذأن للعلم كما يري ابن باجة لذتان:-

أ- اللذة الأولى:

«لذة اليقين عندما يصل المرء إلى إدراك المعانى الصائبة أو الحقائق، وهذه اللذة العقلية تشبه اللذة الحسية على نحو ما. فكما أن اللذة الحسية كمال للجسم، كذلك اللذة العقلية كمال للنفس. لكن اللذة الحسية قد تعود على الجسم بالضرر فى حين أن اللذة العقلية لا يمكن أن تورث ضررا.

ب- أما اللذة الثانية للعلم:

فهى تلك التى يشعر بها كل من علم شيئا جديدا، وهذه لا اسم لها، وهذه دائما ملازمة للعالم، وهى لذة لا يسبقها ألم، ومع ذلك فإنها ليست الغاية الأسمي، فإن الباحث لا يبحث عن المعرفة من أجل هذه اللذة، بل هى ربح يحدث عرضاً. فمن طلب العلم للذة كمن يطلب من الأكل والشرب الالتزاذ بما لايصح به جسمه»[٢]

ومع أن ابن باجة لا يعتبر هذه اللذة هي الغاية القصوي،إلا أنه جعلها درجة في سبيل الوصول إلي السعادة القصوي-أي إلي الاتصال بالعقل الفعال.

١- السابقة نفسه، والصفحة ذاتها.

٢- ابن باجة،د/ محمود قاسم،بحث ضمن معجم أعلام الفكر الإنسانى،ص ٥٣.

وفي هذا يقول ابن باجة: « فالعلم النظري الذى قد يعرض عنه أكثر الناس هو الذى يحقق السعادة الكبرى، وهي السكينة والفرح والبهجة التى يشعر بها الإنسان...، وهو وسيلة يكمل بها الإنسان، وأن جميع القوى النفسية التي تظهر تباعا عند الإنسان ليست إلا وسائل فعالة ومحركة، ولكنها ليست غايات قصوى فى ذاتها »[١]

٣- الطريق الثالث ومرتبته من الناس:

وهو طريق السعداء، ويقابله من مراتب الناس: مرتبة السعداء «وهم الذين يرون الشيء بنفسه »[٢].

وهذه المرتبة تأتي بعد المرتبة الطبيعية، وتتجاوز ذروتها. وفى هذه المرتبة« يرتقى صاحب العلم الطباعي مرتقى آخر، فينظر فى المعقولات لامن حيث هى معقولات تسمى هيولانى ولا روحانى، بل من حيث المعقولات أحد موجودات العالم. فأنزل أنه يحصل له منها معقول ما تكون نسبته إلى المعقول الموضوع نسبة ذلك المعقول الموضوع إلى شخصه، حتى يكون ذلك النوع من المعقولات وسطا في النسبة، فذلك المعقول الثالث فى الرتبة إنما يتصل الإنسان به بالمعقول الأول، وبه يراه »[٣]

ويري ابن باجة أن المعقولات مع أنها من موجودات هذا العالم، إلا أن رؤيتها ليست متيسرة لجميع أفراد الإنسان، لأنهم متفاوتون من حيث الفطرة، وإنما رؤيتها متيسرة لبعضهم فقط، وهم الذين يتجاوزون المرتبتين السابقتين- مرتبة الجمهور، ومرتبة النظار-.

فلا يصل إلى هذه الرتبة فى نظر ابن باجة إلا العالم، والعلم الموصل إليها إنما يكون بمعرفة محصول الشيء الذى هو معقوله بالذات، أي أن المعرفة هنا تكون: إندماج

١- ابن باجة،د/ محمود قاسم،بحث ضمن معجم أعلام الفكر الإنسانى،ص ٥٤ ، ٥٥.

٢- رسالة الاتصال، ابن باجة، ص ١١٣.

٣- السابق نفسه، ص ١١١.

المحمول بالموضوع إندماجا عقليا بحيث لا تكون هناك حاجة إلى التفريق بينهما.

وفي هذا يقول ابن باجة:«ومعنى العلم بالشيء هو أن يكون عند العالم به محموله وهو معقوله، والقضاء على أشخاص ذلك المعقول في وقت دون وقت يشبه السعي»[١].

ويلجأ ابن باجة إلى التشبيه لكي يوضح اندماج المحمول بالموضوع إندماجا عقليا فيقول:«والقوة التي يرتسم فيها المعقول تشبه العين، والعقل يشبه الإبصار، وهو الصورة المرتسمة في البصر.وكما أن الصورة هي بالضوء، فإن الضوء يوجدها بالفعل، وبه ترتسم في الحاسة، فكذلك العقل بالفعل بذلك العقل الذي ليس له شخص يصير شيئا ما، ويرتسم في القوة، وكما أن هذه الصورة المبصرة هي الهادية، لا الضوء الفرد، كذلك العقل بالفعل هو الهادي والراشد. فإن الصورة المبصرة لو ارتسمت في العين في الظلمة، لما احتيج إلي الضوء، لكن ذلك ليس بممكن، إذ قوامها ووجودها هو بالضوء. كذلك الحال في العقل بالفعل والعقل الفعال النسبة بينهما واحدة. فذلك المعنى الذي في الصورة المحسوسة هو الضوء، كذلك هذا في المعقولات هو ضوء بوجه على طريق التناسب»[٢].

وخلاصة ذلك: أن العقل بالفعل، وهو الذي ترتسم فيه المعقولات أشبه ما يكون بالعين التي ترتسم فيها المبصرات، وكما أن العين بحاجة إلى الضوء لكي ترى، فكذلك العقل بالفعل بحاجة إلى العقل الفعال لترتسم فيه المعقولات[٣].

وبذلك فالواصلون إلي رتبه السعادة إنما يصلون إليها بالمعرفة المستمدة من

١- رسالة الاتصال، ابن باجة، ص ١١٣.

٢- السابق نفسه، ص ١١٣، ١١٤.

٣- ابن باجة، تدبير شيخ الأرض،ص ١٣٧.

العقل الفعال الذى يخرج المعقولات من القوة إلى الفعل، وهو بالنسبة لنا كالشمس بالنسبة للبصر، فكما تضئ الشمس الأجسام فتجعلها مرئية، فكذلك يشرق العقل الفعال على نفوسنا فيخرج العقل الهيولانى من القوة إلى الفعل، ويستمر تدخل العقل الفعال فى عملية التعقل إلى أن تصير المعقولات حاضرة فى العقل المستفاد، وبذلك يكون العقل الفعال همزة الوصل بين الإنسان وعالم العقول العليا ،وهو أساس أى إدراك عقلى.

ومما سبق فإن ابن باجة يرى أن العقل الانسانى يبلغ كماله بالمعرفة العقلية، وهذا النظر العقلى هو الذى يحقق سعادته العظمى لأن كل معقول هو غاية لذاته.

ولكى يصل الإنسان إلى هذه السعادة العظمى:«يقطع العقل فى رحلة الصعود من أدناها، وهى الصورة الهيولانية[*] إلى أعلاها، وهى العقل المفارق، وهذه الصور تؤلف سلسلة متكاملة، والعقل الإنسانى حين يقطعها يجتاز فى تكامله، مراحل تقابل تلك السلسلة، حتى يصير عقلا كاملا، ويتصل بالعقل الفعال، وواجب الإنسان هو أن يدرك الصور المعقولة جميعا، فيدرك أولا الصور المعقولة للجسمانيات، ثم التصورات النفسية المتوسطة بين الحس والعقل، ثم العقل الإنسانى ذاته، والعقل الفعال الذى فوقه، ثم ينتهى إلى إدراك عقول الأفلاك المفارقة»[١]

ولكن كيف يتم اجتياز هذه الصور ؟

يجيب ابن باجة على ذلك فيقول: «هناك نوعان من الصور:

أ- صور معقولة توجد فى مادة ويمكن تجريدها عنها.

ب- صور معقولة مفارقة لا توجد فى مادة أصلا.

---

* - الصورة الهيولانية عند ابن باجة كما هى عند أرسطو، والهيولى لاتوجد بدون صورة، أما الصورة فقد توجد بدون هيولى، وذلك فى العقول المفارقة.

١- تاريخ الفلسفة فى الإسلام، دى بور، ص ٣٧٠.

أ- والصور التي من النوع الأول: هي معقولات هيولانية توجد فى عقل الإنسان بالقوة، فإذا تم تعقلها أصبحت صورا معقولة بالفعل، والعقل الفعال هو الذى يخرجها من القوة إلي الفعل، وهذه الصور المعقولة المجردة تدرك العلاقة بين الواحد الأول والماديات، ثم تتلاشى هذه العلاقة ويدرك المتوحد هذه الصور فى ذاتها على أنها مجردة من مادتها، فهو هنا يصل إلي إدراك«مثل المثل» وجواهر الجواهر،فيفهم جوهر الإنسان علي حقيقته ويعرف أنه موجود ذو طبيعة عقلية أى عقل، وهذا هو الذى يقصده بالعقل المستفاد وقوامه العقل بالفعل الصادر عن العقل الفعال. وإذن فهذه المعقولات بالقوة عندما تجرد من الهيولى تصبح موضوعات للفكر، ويصبح وجودها وجود صور خالصة لم تعد متعلقة بمادته فهى عقل مستفاد.

وعلي هذا فصور الكائنات حينما تصبح معقولات بالفعل- وهذا هو الحد الأسمى الذى يمكنها بلوغه- يمكن لها أن تصبح عقلا بالفعل.

وبذلك يكون هدف المتوحد أن يصل إلى التفكير فى الصور المعقولة بدون تجريدها من مادة،فكأنه بهذا يفكر فى ذاته من حيث أنه سيكون حاصلا على معقولات بالفعل خالصة تماما من أى تعلق بالهيولى.أي أن ذاته ستكون موضوعا لتفكيره.

ب- وأما الصور المعقولة المفارقة التي لم تكن أصلاً فى مادة:

فإنها لا تتبدل وتظل كما هي، ويعقلها العقل كما توجد في ذاتها.

وكما أن العقل المستفاد هو صورة للعقل بالفعل تصبح هذه الصور المعقولة صورا للعقل المستفاد. وكل ماهو موجود من صور فى هذا العالم مرتبطة بمادة محسوسة. يوجد فى العقل الفعال بصورة معقولة مفارقة مثل وجودها عند الإنسان في العقل بالفعل، وهذا يفسر لنا كيف أن الإنسان هو أقرب الكائنات إلى العقل

الفعال»[١].

ويظهر هنا تأثير أفلاطون فى فيلسوف المغرب ابن باجة؛حين جعل لصور المحسوسات فى العقل بالفعل مستوى مثالى أول، ومستوى مثالى ثانى لصور المحسوس فى العقل الفعال، وبذلك فقد وجدت نظرية المثل الأفلاطونية صدى لدى ابن باجة.

هذا بالإضافة إلي أن ابن باجة حين جعل إجتياز المراحل السابقة للوصول إلى العقل الفعال كى تتحقق السعادة العظمى للإنسان: لا يتم إلا بالمعرفة العقلية والنظر فى المعقولات، وكما يحكى ابن طفيل عن ابن باجة أنه كان يقول: إن الاتصال رتبة «ينتهى إليها بطريق العلم النظرى، والبحث الفكرى»[٢]

فإبن باجة جعل السعادة العظمى في التأمل والتفكير، شأنه فى ذلك شأن جميع الفلاسفة قبله، وفي هذا المعنى يقول ابن باجة:« كل فعل لا يستعمل الإنسان فيه عقله فهو بهيمى لا شركة للإنسان فيه أكثر من أن الموضوع جسم خلقته خلقة جسم الإنسان إلا أنه مستبطن بهيمة، والإنسان بالأفعال العقلية هو إلهى فاضل، وهو يأخذ من كل فعل أفضله، ويشارك كل طبقة فى أفضل أحوالهم الخاصة بهم، وينفرد عنهم بأفضل الأفعال، وإذا بلغ الغاية القصوى، وذلك بأن يعقل العقول البسيطة الجوهرية، كان عند ذلك واحدا منها، ويصدق عليه أنه إلهى فقط، وارتفع عنه أوصاف الجسمانية الفانية وأوصاف الروحانية الرقيعة»[٣]

وهذا يعنى أن الإنسان لا يحقق المعرفة الكاملة التى تمنحه السعادة الكاملة إلا بالأفعال الصادرة عن الروية، وبتنمية العقل تنمية حرة خالصة من القيود. والفعل الحر الاختيارى هو فعل يشعر فاعله بغاية يقصدها منه.

١- تاريخ الفكر الفلسفى فى الإسلام،د/ محمد على أبو ريان، ص ٥٦٦ ـ ٥٦٧.

٢-فلسفة ابن طفيل،د/ عبد الحليم محمود، بيروت ١٩٧٥م،ص ٢٠ ـ ٧٢.

٣- تدبير المتوحد، ابن باجة،ص٣٤٣ ـ ٣٤٤، نقلاً عن: تاريخ الفلسفة فى الاسلام،دى بور،ص٣٧٣.

يقول ابن باجة:«وكل ما يوجد للإنسان من الأفعال المختصة به بما اختص به من طباعه المتميزة عما سواه، فهو بالاختيار، وأعنى بالاختيار الإرادات الكائنة عن روية»[١]

ومما سبق يتضح أن ابن باجة لاتعتد إلا بالمعرفة العقلية فقط، وأنه ربط بين المعرفة والسعادة، حيث جعل سعادة الإنسان وخيره الأقصى فى أن يصل الإنسان إلى رتبة العقل الفعال، ويتصل به اتصالا مباشرا ويأخذ عنه بلاواسطة، ولا يتحقق هذا الاتصال إلا بتنمية القوة العاقلة، واستعمال النظر الصحيح، وإحراز الفضيلة، وهذه الأشياء لا يستطيع كل واحد من الناس تحقيقها أو بلوغها، وإنما يختص بها عدد يسير من الناس: إنهم الفلاسفة ومن فى مستواهم على حد تعبير ابن باجة.

وبهذا لا تتحقق المعرفة الكاملة، والسعادة القصوى إلا للفلاسفة حسبما يرى ابن باجة. وقد رأي ذلك من قبله: الفارابي، وابن سينا من فلاسفة المشرق الإسلامي. فتأثره بهما واضح، وبخاصة فيما يتعلق بالمعرفة، والسعادة التي لا تتحقق للإنسان إلا في الاتصال بالعقل الفعال.

فآراء ابن باجة في المعرفة والسعادة ذات صلة بآراء الفارابي، وابن سينا، وأكبر سند لذلك هو: أن القدر الذي يشغله العقل الفعال فى نظرية المعرفة عند ابن باجة هو نفس القدر الذى كان يشغله فى هذه النظرية نفسها لدى كل من الفارابى، وابن سينا.

هذا بالإضافة إلى أن ابن باجة فى كثير من كتبه، وبخاصة "تدبير المتوحد" ينحو منحى الفارابى«ويجعل الفيلسوف أسمى البشر، ويمدح أهل العلم ويرى أنهم نادرون، ويجعل المحبة أساسا لمجتمعه متابعا فى ذلك أرسطو،ويستوحي آراء الفارابى التفاؤلية، وبخاصة عندما يستند إلى علاقات الأفراد المبنية على المحبة ليستغنى عن

١- السابق نفسه،ص ٣٣٢: نقلا عن نفس المرجع السابق،ص ٣٧٢.

القضاة فى حكومته الكاملة، وعن أطباء النفوس، وأطباء الأجساد...، وابن مدينته الكاملة- المتوحد أو الفيلسوف- يعمل لخير هذه المدينة لأنه جزء منها، وكل أعماله فاضلة، وكل آرائه صواب، وهو يقوم بما يتقن من أعمال، ويعرف القوانين ويتقيد بها فلا يخالف واحدا منها، ولا يقترف إثما، ولايتيه فى ضلال»[1]

والظاهر أن ابن باجة يريد أن يجعل من المتوحد أو فيلسوف مدينته نبيا، ذلك لأنه جعله معصوما من الخطأ.

كما جعل أساس السعادة: العقل والاشتغال بالفلسفة واتباع مافيها لتحقيق السعادة للإنسان.

إلا أنى أرى : أن السعادة الحقيقية، والنجاة والفوز برضوان الله تعالى فى الدنيا والآخرة. كل ذلك لايتحقق للإنسان إلا إذا التزم بالقانون الإلهى العام، وهو كتاب الله العزيز الذى لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وأن يعمل ويتخلق بما فيه، وكذلك ماأمر به المصطفى- صلى الله عليه وسلم- والتخلق بأخلاقه ظاهراً وباطنا.

وصدق الحق تبارك وتعالى حيث يقول: (وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولاتتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون)[2]

١- ينظر : دراسات فى تاريخ الفلسفة العربية الإسلامية، د/ عبده الشمالى، دار صادر ،بيروت،الطبعة الخامسة (١٣٩٩هـ - ١٩٧٩) ص ٦١٣ ،٦١٤.

٢- سورة الأنعام، الآية ١٥٣.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- ابن باجة، تيسير شيخ الأرض، دار الأنوار، بيروت ١٩٦٥.
- ابن باجة، د /محمود قاسم، بحث ضمن معجم أعلام الفكر الإنساني، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٤م.
- تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام، د /محمد علي أبو ريان، دار المعرفة الجامعية، الأسكندرية، دون.
- تاريخ فلاسفة الإسلام في المشرق والمغرب، محمد لطفي جمعه، المكتبة العلمية، بيروت، دون.
- تاريخ الفلسفة في الإسلام، دي بور، ترجمة د /محمد عبد الهادي أبوريده، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٣٧٧هـ-١٩٥٧م.
- تاريخ الفلسفة الإسلامية في المغرب، د /محمد إبراهيم الفيومي، دار المعارف، مصر ١٩٩٢م.
- تاريخ الفلسفة العربية، حنا الفاخوري، د /خليل الجر، دار الجيل، بيروت ١٩٨٢م.
- دراسات في تاريخ الفلسفة العربية الإسلامية، د /عبده الشمالي، دار صادر، بيروت (١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م).
- رسائل فلسفية لأبي بكر ابن باجة، جمال الدين العلوي، دار الثقافة، بيروت، دون.
- رسالة الاتصال، ابن باجة، ضمن تلخيص كتاب النفس لابن رشد، تحقيق د /أحمد فؤاد الأهواني، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ١٩٥٠م.
- عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، ابن أبي أصيبعة بيروت، دون.

- فلسفة ابن طفيل، د /عبد الحليم محمود، بيروت ١٩٧٥م.
- نظرية المعرفة،د /محمود محمد مزروعة، بحث ضمن حولة كلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية، دار الطباعة المحمدية، القاهرة، العدد السابع(١٤٠٧ هـ-١٩٨٧م).
- الصحاح في اللغة والعلوم، للعلامة الجوهري، دار الحضارة العربية، بيروت، ١٩٧٤م.
- الفلسفة الأخلاقية الأفلاطونية عند مفكرى الإسلام، د /ناجى التكريتي، بغداد، الطبعة الثالثة ١٩٨٨م.
- الفلسفة الإسلامية فى المغرب، د /محمد غلاب، القاهرة ١٩٤٨م.
- المذهب الإشراقي بين الفلسفة والدين فى الفكر الإسلامي، د /محمد جلال شرف، دار المعارف، مصر، الطبعة الأولي ١٩٧٢م.